الصحة النفسية المجتمعية : مبادئ وأهداف

بقلم: عبد الحميد عفانة - مدير التعليم والتدريب
جريدة القدس - بتاريخ: 1995/3/6

برز في العقدين الأخيرين توجه عالمي لعلاج المشاكل والاضطرابات النفسية في داخل المجتمع وأصبح ذلك عملا مطلوبا وضروريا لتحقيق مستوي صحي أفضل في المجتمع . هذا التوجه صاحبه العمل علي بناء مصحات عزل عقلية وهدم المصحات العقلية القديمة والتي اعتمدت علي عزل المريض في مكان بعيد عن الناس لا يستطيع إبداء رأيه في الأمور التي تخص صحته ، وحيث تعتمد طريقة العلاج علي الأدوية والجلسات الكهربائية .

التوجه المجتمعي

هذا التوجه المجتمعي ليس جديدا ، ففي العقدين السابقين كان هناك محاولات جادة كثيرة لوضع ديناميكية تكون لها نتائج إيجابية في علاج المشاكل النفسية داخل المجتمع . تزعم هذا التوجه المفكرون والعاملون في مجال الصحة النفسية والاجتماعية أمثال كابلن جوينز ، روبرت بنت ،وانجل فريدمان وكثير غيرهم . وبناء علي هذه الآراء العلمية تبني كثير من القادة السياسيين هذا التوجه ودعموا بكل ما لديهم من قوة سياسية فنجد الرئيس الأميركي الراحل جون كنيدي يتبني سياسة الصحة النفسية المجتمعية ويسن قانونا يدعو إلي علاج المشاكل النفسية في المجتمع والتخلي عن المصحات العقلية ، ونجد البرلمان الإيطالي الذي تبني نفس القانون إضافة إلي فتح أقسام للعلاج النفسي في المستشفيات العامة وفتح مراكز صحية نفسية مجتمعية في مناطق مختلفة بحيث لا يزيد عدد الناس المنتفعين من المركز الواحد علي 000و250 نسمة وبعد ذلك تبنت دول كثيرة أمثال بريطانيا ،النرويج ،كندا ،إيطاليا ،أميركا ..الخ .هذا التوجه الذي أصبح قانونا صحيا مدعما بآراء البرلمان والسياسيين والعلماء والمفكرين والعاملين في حقل الصحة النفسية .

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا لماذا تبنت هذه الدول هذه السياسة المجتمعية ؟ وما هي العوامل التي أدت بها إلي تبني هذا التوجه وهدم المصحات العقلية والنفسية القديمة وعدم بناء مصحات جديدة ؟

والإجابة علي هذا السؤال تتمثل في :

أولا :أكد كثير من العلماء في مجال الصحة النفسية والعلاج النفسي وكذلك في مجال العلوم الاجتماعية أمثال كوفمان علي أن العلاج داخل المستشفيات يؤدى إلي عزل المريض عن المجتمع فترات طويلة واعتماده اعتمادا كليا علي الأدوية دون أن يكون له أي رأى في العملية العلاجية المقدمة له وهذا لا يساعد المريض علي تحقيق الثقة بالنفس وتحقيق الذات وبالتالي يؤدى إلي عدم مقدرة المريض علي التكيف في المجتمع بعد خروجه من المستشفي وعندما أصبح لهذا الرأي قوته في المحيط العلمي والفكري وبين أوساط العاملين في حقل العلاج النفسي أصدرت الكلية الملكية البريطانية للأطباء النفسيين نشرة كان لهل صدي كبير في عام 1974 ضد إنشاء المصحات العقلية وطالبت بوضع خطة لهدم وإقفال الموجود منها أو تحويلها إلي مراكز مجتمعية .

ثانيا : تكاليف الخدمات النفسية المقدمة عن طريق المستشفي كثيرة في الوقت الذي لا تخدم فيه المستشفي إلا نسبة قليلة من السكان ، كذلك فإن المحتاجين لخدمة المستشفي في المناطق النائية لا يستطيعون الوصول إليها ، إضافة إلي أن المستشفي لا تهتم بالبيئة المحيطة والمساعدة في حدوث الاضطراب "المرض" ولا يوجد الاهتمام المطلوب من قبل المختصين حيث التركيز علي الجسم والأعراض لا العوامل التي ساعدت علي حدوث المرض .

ثالثا : أن عزل المريض في مستشفي خاص بالطب النفسي يصم المريض بوصمة عار علي أنه مجنون مما يسبب الشعور بالخجل والعار لعائلة المريض وما يترتب علي ذلك من مشاكل اجتماعية للعائلة والمريض .

المفهوم العام للصحة النفسية

الصحة النفسية المجتمعية بمفهومها العام هي عبارة عن تطوير الفرد والمجتمع من خلال الاهتمام بالمدارس ورياض الأطفال والنوادي وكل التجمعات السكانية والتركيز علي الصحة النفسية من المنظور الصحي وليس من المنظور المرضي ولا يكون المعالج هنا المصدر الوحيد للمعلومات الصحية النفسية ولا هو أهم شخص لتلبية احتياجات المريض ولكن علي المعالج النفسي في داخل المجتمع أن تعاون مع الأفراد في المجتمع أو من يمثلهم لتحديد الاحتياجات والتخطيط سويا للتطور المستقبلي وذلك يتم عبر تحديد الإمكانيات الداخلية المتاحة في المجتمع لصالحه ولمساعدة المريض وبذلك يشعر المريض بأنه عضو من المجتمع الذي يعيش فيه وليس مجرد عضو فيه لا قيمة له . وبالتالي الصحة النفسية المجتمعية تهدف إلي تدعيم مفهوم الصحة النفسية ليس فقط للذين يعانون من الاضطرابات .

عندما بدأت المراكز الصحية النفسية المجتمعية في الانتشار كانت تهدف إلي :-

أ-علاج وتأهيل المرضى النفسيين في المجتمع بعيدا عن المصحات العقلية والمستشفيات الخاصة .

ب-تقديم خدمات مكثفة وشاملة وتشمل العلاج الداخلي في قسم الاضطرابات النفسية في مستشفي عام أو وحدة صحية وليس بالضرورة أن يكون في مصحة عقلية تامة ، وتقديم خدمات نفسية مجتمعية ومتابعة المريض في المجتمع وعلاجه في حالات الطوارئ وفتح أقسام للاضطرابات النفسية في المستشفيات العامة في حال احتياج الشخص إلي ملاحظة سريرية .

ج- التعاون والتنسيق مع المؤسسات الموجودة في المنطقة والتي يمكن أن تساعد في خدمة المريض .

د- خدمة متوفرة وسهلة الوصول لكل شخص في المنطقة التي تقع تحت نطاق ومسئوليات المركز بغض النظر عن مقدرة الشخص علي دفع ثمن هذه الخدمة وتكون متوفرة علي مدار الساعة .

ه- يقوم المركز بعمل الفحوص النفسية عن الاضطرابات السائدة والعوامل التي ساعدت أو تساعد علي حدوثها وكذلك تقوم بتقييم الخدمات النفسية المقدمة .

و- نشر الوعي الصحي النفسي في المجتمع بجميع شرائحه والأسباب التي تؤدى إلي المشاكل النفسية وبذلك تخفف من وصمة العار المصاحبة لهذا الاضطراب وتخفف من نسبة حدوث مثل هذه الاضطرابات.

وهكذا يتضح أن المركز النفسي المجتمعي يعمل علي الجانب الوقائي والعلاجي وهذا ما لا تجمعه الخدمات النفسية في المستشفي .

بقي أن نذكر أن هناك العديد من الدروس التي يمكن الاستفادة منها من خبرات الذين تبنوا هذا الاتجاه وهذه الدروس يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار عندما يضعون المخططون الصحيون وصانعو القرار أي نظام صحي يتعلق بالخدمات النفسية في فلسطين وأهمها ألا نكرر نحن ما اكتشف العالم خطئه وهو الاعتماد علي المصحات العقلية .